الباب الثالث
مصل الحقيقة

لكل تقدم علمي او تكنولوجي وجهان، وجه يستخدمه الخيرون لصالح البشرية وتنعكس ايجابياته على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها بما يفتح آفاق المستقبل. ووجه يستخدمه الشريرون في مجالات العبث بمصالح البشرية كما هو حال الجريمة والمجرمين.

دخلت الجريمة نتيجة التقدم العلمي عالم جديد يصعب معه اتباع الطرق التقليدية للكشف عنها ونسبتها الى مرتكبيها كان لابد من مجاراة ذلك في الجانب الاخر وهو مجال البحث عنها عن ادلة للكشف عنها وصولا الى فاعليها. لذلك عمدت اجهزة الدولة لمواجهة الاجرام غير التقليدي باتخاذ اساليب غير تقليدية ايضا سواء في مرحلة الاستدلال او التحقيق او المحاكمة تتناسب مع الاساليب الجديدة المتبعة في ارتكاب الجريمة، بل وذهبت ابعد من ذلك باتخاذ اساليب اكثر تطورا .

اختلفت ادلة الاثبات التي لجأت اليها اجهزة الدولة للكشف عن الجريمة واختلفت من حيث اهدافها كتلك التي تشل وعي المتهم لكي يمكن التسلل الى عقله الباطن وخازن اسراره والحصول منه على ما تعذر الوصول اليه في الوسائل العادية. كما اختلفت الوسائل من حيث الطبيعة العلمية للوسيلة كأستخدام اجهزة لمراقبة بيانات الشخص وجمعها عن طريق آلات تجهيز البيانات، بحيث اذا جمعت البيانات فانها تعطي معلومات كافية عن الشخص. ومن هذه الوسائل التحليل التخديري او كما يطلق عليه مصلة الحقيقة. وهو العقار الطبي الذي اكتشفه عالم التخدير الامريكي (ت. س. هاوس) من مادة (السكوبولامين) وقال عنه انه ينتزع الحقيقة او الاعتراف من مستخدمه حتى بدون رضاه. وزاد الاقبال عليه نتيجة دوره في الكشف عن مرتكبي مجزرة حصلت في ذلك الوقت واحيل مرتكبوها الى القضاء واعترفوا تحت تأثير المادة المذكورة بأنهم ارتكبواجرائم القتل بواسطة الفؤوس. واطلقوا على العقار اسطورة مصل الحقيقة كذلك ما قامت به سلطات الاتهام

في مقاطعة (كول بالينوس) من استخدام لمادة نيتوثال صوديوم مع متهم تظاهر اثناء التحقيق بالنسيان وبعد حقنه بالمادة المذكورة اعترف بثلاث جرائم قتل. والعشرات من جرائم السرقة .

كانت الوسائل الجديدة في التحقيق محل اختلاف بين رجال القانون والقضاء فمنهم من ايدها بينما رفضها فريق آخر ولكل حجته فيما ذهب اليه. ولذلك لم يقنن البعض منها لمساسها الخطير بارادة الانسان بل ذهبت تشريعات الى تحريمها واعتبرتها اعتداء على حقوق الانسان وحرياته. ولذلك امتنع القضاء من استخدام الا ما اجازه التشريع .

كما ان البعض من هذه الوسائل رغم اباحة القوانين لها فان القضاء لم يعتمدها بمفردها بل قرنها بما يساندها من ادلة اخرى لها حجيتها القانونية، سواء كانت الادلة المساندة للادلة الحديثة ادلة لفظية كالشهادة والاعتراف او ادلة مادية كالاثار البيولوجية التي يتم العثور عليها في مسرح الجريمة او على جسم المجني عليه او على جسم الجاني .

الفصل الأول

ماهية محل الحقيقة

لا يقتصر المرض على مهاجمة جسم الانسان بل يهاجم المرض البعد الاخر من الانسان وهو الجانب النفسي فيسبب له اختلالا في التوازن، مما يدفعه الى الشذوذ عن مجتمعه مما تستوجب معالجته عن طريق التحليل النفسي.

اساس التحليل النفسي عند فرويد هو نظرية العقل الباطن، فهو يقسم الحياة الفعلية الى الشعور واللاشعور، والتصرفات الشعورية ماهي الا نتيجة للعمليات اللاشعورية التي تحدث في العقل الباطن. ويمكن الوصول الى العقل الباطن من خلال التحليل النفسي (فن دراسة العقل الباطن) ولذلك ففلسفته في تفسير الحياة النظرية لكل فرد يعتمد على اتجاهين:

الاتجاه الأول: هو بناء الانسان العضوي من خلال الجهاز العصبي.

الاتجاه الثاني: يتعلق بالافعال الشعورية التي يقول عنها ماهي الا نتيجة للعمليات المجهولة في منطقة اللاشعور.

لا نريد الخوض في نظريات علم النفس لكننا اردنا الاشارة الى ان الجانب النفسي للانسان ينقسم الى قسمين: الاول ويسمى بالعقل الظاهر وهو مصدر كل ما يصدرعن الانسان من مظاهر التفكير الشعوري. اما القسم الاخر فهو العقل الباطن او منطقة اللاشعور التي يختزن فيها الانسان كل ما يعترض له في حياته من ممارسات حيث لاتذهب الاخيرة ادراج الرياح وانما تختفي في منطقة اللاشعور او العقل الباطن .

تفصل بين منطقة الشعور واللاشعور حواجز تمنع تسرب المعلومات المختزنة في العقل الباطن لذلك يحاول رواد التحليل التخديري اختراق هذه الحواجز عن طريق اضعاف مقاومتها بغية تسلل المعلومات واخراجها من موطن الاسرار للاستفادة منها في التحليل النفسي لمعالجة المصابين بامراض نفسيه .

استغلت هذه العقاقير الطبية في الجانب الجنائي واستخدمت لتعطيل او اضعاف التحكم الارادي للفرد لان حقن المتهم بها يؤدي الى تعطيل او اضعاف عمل الحواجز الفاصلة بين منطقتي العقلين الظاهر والباطن وبالتالي يمكن الحصول على الاسرار التي يتعذر الحصول عليها بالطرق العادية.

ولما تنطوي عليه عملية التخدير من مخاطر يجب ان ينفذها طبيب مختص بواسطة حقن المادة المخدرة في وريد الشخص المطلوب تخديره. والمادة المخدرة تختلف في تركيباتها الكيمياوية الا انها تؤدي الى نتيجة واحدة من حيث تأثيرها على مركز الجهاز العصبي .

ما ان يحقن الشخص بالمادة المخدرة حتى يميل الى الاسترخاء او يكون في حالة غيبوبة غير كاملة او ما يطلقون عليها الغيبوبة الواعية او الشفق – وتعني الشفق الحمرة التي تظهر بعد غروب الشمس وتستمر من الغروب ولفترة قصيرة. ولعل قصر الفترة وغياب ضوء الشمس الذي يدلل على غياب الوعي والحمرة التي تشير غالبا الى الخطر هي التي دعت الى استعمال كلمة الشفق – واثناء اعطاء المصل الى الشخص يطلب منه ان يبدأ بالعد فاذا ما توقف او بدأ لا يركز يقطع عنه المصل لان الاكثار منه يؤدي الى نتائج خطيرة قد تودي بحياة ذلك الشخص[6].

تستمر فترة التخدير من عشرين الى اربعين دقيقة يفقد فيها الخاضع للتخدير القدرة على الاختيار والتحكم الارادي. فاذا ما تعطل تحكم الفرد في ارادته واختياره وفقد السيطرة على تصرفاته عندها ينطبق عليه ما ينطبق

---

[6] معالم القربه لابن الاخوة 165 . 166

على السكران الذي يفقد عقله وبالتالي فهما حالتان تشبهان حالة الجنون .تجعل هذه الادوية الانسان لا يقوى على السكوت وتدفعه الى ان يكون ثرثارا محبا للكلام الكثير. ورأى بعض العلماء ان الحالة التي يكون عليها الانسان بعد استعمال التحليل التخديري معه تريحه من بعض ما يعانيه من الانغلاق الذهني او الهستريا.

استخدمت مواد مختلفة في مجال التحليل التخديري منها الناركوفين (Narcoven) كذلك مادة بينتوثال الصوديوم (pentothal sodium) التي استخدمت على نطاق واسع من قبل مخابرات الرايخ الثالث .